فتاوی المتانة

جلد اول

تالیف:

العلامة البوبکانی السندی

حققه وعلق علیه

ابو سعید غلام مصطفٰی القاسمی السندی

طبع بمطبعة جمعیة دائرة المعارف العثمانیة الکائنة بعاصمة حیدرآباد کانت معمورة الی یوم التناد سنة ١٣٦٤ هـ النبویة علی صاحبها الصلوة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل الفقه هداية لصلاح معاش الإنسان ، ومتانة لفلاح معاده . والصلوة والسلام على صاحب الشرع سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه الذين اجتهدوا لإشاعة دينـــه ، وقاموا لله بأوفى عهده . رضى الله عنهم وعن الذين اتبعوهم إلى يوم وعده .

اما بعد : فإن العالم كان مصابا بالإستعمارى الذى استعبد الإنسانية بشتى طرق طغى عليها وبغى ، ولم يدع لها أن يتنفس فى جوصر .

فى حولى ٥٠٠ و ٦٠٠ الميلادية وما قبلها غلب العالم على أمره ، وانخضع للإستعمارية الفارسى الإيرانى الكسروى فى شرق شبـــه جزيرة عرب ، امتدت جدودها من البلاد العربية إلى الشرق ، والإستعمارى رومى القيصرى فى غرب شبه جزيرة العرب ، كان قد استولى على لغرب بأجمعه .

وهاتان القوتان كانتا طحنتا العالم تحت أقدامها فى غير رحمـــة لاشفقة . وما كان هم هاتين الإمبراطوريتين إلا تحصيل المكوس ، و صراع السياسى ، واكتساب السيادة . وأذا قوا الشعوب المستعمرة ألوانا ن التنكيل ، واضطهدوا بهم اضطهادا ذريعا ، وبطشوابهم أشـــد طش . أسقطوهم عن منزلة الإنسانية إلى حضيض طبقات الحيوان .

وكان العالم فى هذه الحالة انبثع نور الإسلام من جبال مكة ، و أودية فاران . عم هذا النور السماوى ببركاته شبه جزيرة العرب أولا وقبل الجميع . ثم عم العالم رحمة ، وألقى عليهم أشعة شمس هداية الإسلام . وهشم جيوش الإسلام هذه الكسروية العظمى ، وذلك القيصرية الكبرى ، ومحوا الطاغية عن الوجود . وهلك كسرى فلا كسرى بعده ، وهلك قيصر فلا قيصر بعده .

وبعد حين فى أواخر القرن الأول من الهجرة دخلت أرضنا أرض السند فى حظيرة الإسلام فأفاض الله عليها ما أفاض من الحرية العقلية ، وتمتع أهلها من خيراتها ، ومن العلوم والمعارف فى جوصر ، ونبغ من أبناءها من نبغ أصبح أعيان العالم فى العلوم والفنون . وأما علوم الدين بالذات فنبغ منهم عدد كبير فى عهود مختلفة من أيام دولة الإسلام ، ومجد المسلمين ، وأيام قوتهم السياسية وزاد عدد النابغين من أبناء السند وكثر. وانتشروا فى أكناف دولة الإسلام حاملين إسم السند . ونجد عددا كبيرا جدا من رجال العلم فى دولة الإسلام من أبناء السند أنهم برزوا فى شتى علوم الدين ، والعربية ، وشئون أخرى . وحين ذاك كان العالم مصابا فى عدة نواح من الفسق والجهل . وسابق أبناء بلاد السند أبناء البلاد الأخرى من الشرق فى عدة ميادين . فسبقوهم فى ميدان العلم ، وميدان السياسة ، ونظم الأمور ، والشئون الأخرى فى نواح الحياة المختلفة . وهم سبقوا بلاد الهند ، وأبناءها فى تقدم العلم ، وأصبحوا أساتذة لهم فى الإسلامية ، والدينية ، والحضارة الإسلامية . فاستمر نبوغ هؤلاء فى العلوم ، والتقدم المدنى إلى القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر . وما بعده إلى يوم هذا غلب على أمرها من غلب فلحقه ضعف إلى ضعف . إنما أشكو إلى الله وهو المستعان وعليه التكلان .

حيات المولف ومن تلك المراكز العلمية فى السند كان مركز فى قريـــة بوبك أيضا ، (١) وههنا أسرة من آل عم النبى و صاحبـــا العباس بن عبدالمطلب رضى الله تعالى عنـــه القاطنون من قرون يقال لهم المخدومون لا شتغالهم بالعلم جيلا بعـــد جيل ، نشأ منهم جهابذة من العلماء الأعلام الذين منهم العلامة الإمام عبد الكريم ميران (المتوفى سنة تسع وأربعين وتسع مائة) وولده العلامـــة الفقيه المخدوم محمد جعفر صاحب المتانة (المتوفى فى أواخر القرن العاشر) وهما ذوى الصيت البعيد فى الممالك الإسلامية ، والمراكز العلمية الباقية .

وهؤلاء : العلامة طاهر المحدث ابن الشيخ يوسف الباترى السندى ثم البرهانبورى ، والعلامة الحكيم محمد عثمان البوبكانى السندى (٢) من

---

(١) وقلت : أنا كنت ذهبت إلى هذه القرية وفتشت عن أهلها وجه تسميتها بهذا الإسم فأجابوا بوجوه منها أن " بوبك " فى اللغة السندية إسم حشيش مخصوص ينبت هنا فقط ولايوجد فى غير هذه القريـــة فسميت القرية به ، ومنها أنه مركب من اسمين أحدهما " بو " بمعنى الرائحـــة والثانى " بك " بمعنى الهفوة فى لغتنا السنديـــة ، وبعد سميت القريـــة بـــه لأن كلتيهما توجـــد هناك بسبب كونها مركزا لتجارة السمك ، ولكن التحقيق ما كتبه العلامة المخدوم محمد جعفر فى منهيته على هذا الكتاب : " بوبكان مدينة من مدن السند على فرسخين من سيوستان من الجانب الغربى منه . والبوبك كان إسم جد أهلـــه و أصله أبوبكر ، قصر تخفيفا "

(٢) كذا سمعت من الأساتذة . وقال فى التـذكرة الغوثيـــة ما محصلـــه فى العربية : أن العلامـة عثمان ابن الشيخ عيسى ابن الشيخ

أرشد تلامذة المخدوم عبد الكريم ميران ابن العلامة يعقوب البوبكانى الذين استفاض منهم كثير من علماء الهند حين سكنوا فى بلدة برهانپور (الهند) والسلطان ميرزا حسن بيك أرغون أيضا كان من تلامذته .

كتب فى نزهـــة الخواطر ناقلا عن تاريخ السند : الشيخ الفاضل ميران بن يعقوب التتوى السندى (١) أحد كبار العلماء درس وأفاد مدة عمره ، وأخذ عنـــه مرزا شاه حسن صاحب السند ، وخلق كثير من العلماء . مات سنة تسع وأربعين وتسع مائـــة . فأرخ لوفاته بعضهم " علامـــة وارث الأنبياء " وقبره على جبل مكلى . ذكره معصوم بن صفاى السيدى فى تاريخه . (٢)

ابراهيم الصديقى (البوبكانى السندى) تخرج عليه صاحب التذكرة (الشيخ محمد غوثى) والقاضى نصيرالدين ابن الشيخ سراج محمد البنانى ، والشيخ صالح السندى ، والقاضى عبد السلام السندى الذى له شرح على الوقاية حاولسائر الجزئيات الفقهية ، والشيخ سكه جى ختن الشيخ يوسف البنكالى وخلق آخرون . له شرح على صحيح البخارى وحاشية على تفسير البيضاوى وله مصنفات أخرى . كان تقيا زاهدا ، متورعا كبيرا يحترز عن المشتبهات لم ياكل طعام أحد أربعين سنة . واستشهد مع سبع عشرة نسمة مع عياله بأيدى اللصوص بقريته فى الهند وكان ذلك فى شهر شعبان سنة ثمان بعد الألف .

راجع التذكرة الغوثية ص ٤٤٥ ـ ٤٤٦

(١) راجع النزهة ج ٤ ص ٣٧٠ وإنما عده تتويا لأن وفاته كانت فى " تته "

(٢) وقلت : عبارة تاريخ السند هـــذه : مخدوم ميران بن مولانا يعقوب به صفات حميده واخلاق پسنديده معروف ومشهور بوده ، و

والعلامة المخدوم محمد جعفر صاحب المتانة تخرج على والده وما استفاد ممن سواه من العلماء . وهو ما كان متبحرا فى العلوم الشرعيـــة فقط بل امتاز فى الحكمة ، والنجوم ، والجفر ، والرمل أيضا ، ولكنه فى آخر عمره ترك سائر العلوم ، واشتغل بمطالعة كتب الحديث ، والتصوف . والعجب منـه أنـه مع اشتغالـــه بالتصوف أيضا كان يميل إلى آراء شيخ الإسلام ابن تيمية وتحقيقاته كما يظهر من مطالعة رسائله .

الترجمة المبسوطة لهذا الحبر الجليل لم يتيسرلى ، وما ذكره الفضلاء وأصحاب التذكرات فهو مقصور على أسطر عديدة . وهذا مصنف تاريخ السند : السيد محمـــد معصوم ابن السيد صفائى البكرى مولدا و مدفنا (٩٤٤ - ١٠١٩) كان عصرى المؤلف ولكنه كتب عنه فى سطر أو نصف سطر (١)

وجاء الثناء عليه فى التذكرة الغوثية (گلزار أبرار) وفى تحفة الكرام

جامع علوم معقول ومنقول بوده واكثر طلبه اكتساب علوم از خدمت ايشان كرده‌اند ، ودر علوم مهارت وافرداشت ، وچند مدت ميرزا شاه حسن استفاده علم بخدمت شريف مخدوم نموده‌انـد ودر تتـــه علم بعالم عقبى برافراختـه اند . تاريخ ايشان وارث الأنبيا ٩٤٩ است . تاريخ معصومى فارسى ص ٢٠٢ تحقيق علامه عمربن محمد داودپوته رح .

(١) وهى هذه : مخدوم جعفر كه يكى از علماى سند بوده ، از ميرزا عيسى ترخان نقل ميكردند كه درين تاخت هزار شتر از چرخهاى باغات كـــه (شب) كار ميكردند بردند . تاريخ معصومى فارسى ص ١٢٠ بتصحيح الدكتور داؤدپوته رح . منه

ومقالات الشعراء وغيرها ولكنه لاينجاوز عن أسطر قليلة .

ذهبت إلى القصبة بوبك مولد المخدوم ومدفنه لعلى أطلع على مناقبه وسوانحه أزيد من هذا ، ولقيت أسرة المخدوم رج القاطنين فيها وكانوا ذوى العز والفضل ، وأعاننى على هذا واحد من شبان تلك الأسرة : صديقى المخدوم عبدالرحمن الموقر ، ولكن من الأسف ما فزت فى مرامى بعد كد وتعب أيضا لأنه لم يكن عندهم من الحقائق ما يستحق الذكر والكتابة لطول العهد ، وبرفاقة هذا الشاب زرت مقابر المخاديم فى خارج القرية : زرت مزار صاحب المتانة المخدوم محمد جعفر ومقابر أولاده ، ولكن مزار هذا الحبر وإن كان مبنيا بأحجار ولكنه ما كتب عليه شى ، حتى يعلم تاريخ وفاته (١) وأما المقابر الأخر لأولاده فكتب على أحجارها سنين وفياتهم . (٢)

---

(١) وقلت : ذكر فى ترجمة گلزار ابرار ص ٣٧٤ تحت ترجمة المخدوم محمد جعفر بعد سرد مناقبه مصراعا :- باد برو حش مقام جنت فصل الخطاب . ولكنى لم يتيسرلى استخراج سن وفاته منه لأن الأعداد المستخرجة على حساب أبى جاد تزيد أو تقصر جدا ولا تطابق عصره ، واستعنت فى حسابه عن الشاعر الباكستانى الكبير الشيخ الأديب حفيظ الهوشيارپورى وهو أيضا عجز عن استخراج التاريخ قائلا : بان فيه تحريفا من النساخ . والله اعلم . منه

(٢) قلت : وفى جوار قبر المخدوم محمد جعفر كانت قبور لأولاده فوجدت عليها مكتوبا الأبيات الآتية فى اللغة الفارسية :

گفت هاتف يافت امداد از احد حامد اندر جنت الماوى سرائ

سنه ١١٢١

ولكن صاحب نزهة الخواطر ذكره فى أعلام القرن العاشر الذين توفوا فيه . وهو فى الحقيقة كان من هذا القرن ، كما ظهر لدينا من تاليفه المسمى بنهج التعلم فى خزانة كتب صاحب العلم السيد وهب الله . وكان سن الفراغ من تاليف ذلك الكتاب ٩٧٦ (الهجرية) وهذا يؤيد أنه من علماء القرن العاشر من الهجرة . وأيضا يظهر من التذكرة الغوثية (گلزار ابرار) أن مصنفه ينقل عن أستاذه العلامة الحكيم محمد عثمان البوبكانى السندى عن المخدوم محمد جعفر رح ، ويبان من سوق عبارته أنه توفى قبل ذلك . وهذا العلامة محمد عثمان البوبكانى استشهد فى سنة ثمان بعد الألف ، فهذه قرينة على أن المخدوم محمد جعفر رح توفى قبل هذه السنة ، لهذا ذكرنا أنه توفى آخر القرن العاشر . والله أعلم .

ولما لم نطلع على مزيد أحواله فلابأس أن نذكر نبذة مما ذكره بعض الفضلاء والمؤرخون من مناقبـــه ليكون قارئو هذا الكتاب على خبرة

وفى جواره قبر أخرى كتب على أحجارها :

كرد حق سال رحلت ـ مخدوم دو عدد را باسم آن داخل
د، جـــه اول از بـهشتش داد كرد عبد الغنى دران داخل

سنه ١١٦٩

وعلى جانب آخر :

مخدوم پاك سيرت عبد الغنى كه بود
در علم دين مصطفوى مخزن ـ نهفت
هاتف بروز رفتن وى درجنان زغيب
فيها على الأرائك نعم الثواب گفت .

سنه ١١٦٩

من فضائل العلامة المؤلف .

كتب مؤرخ السند السيد القانع (المتوفى ١٢٠٣ هـ) فى تاليفه تحفة الكرام ما محصله فى العربية : المخدوم محمد جعفر إبن المخدوم ميران الذى سبق ذكره كان جامع الكمالات ، ونحرير وقته ، وكان معاصرا للمخدوم نوح رحمه الله تعالى . يقولون : إن المخدوم نوح رحمه الله تعالى قال يوما : أنا رأيت ربى بعينى هاتين ، فقال له المخدوم محمد جعفر ليس الأمر كـــذلك ، ولم تر ربك بعينيك هاتين ، وعليك أن تأمر خادمك حين ما ترد عليك هذه الحالة أن يغمض عينيك . فإن بقيت روية الله تعالى فتيقن أن تلك العيون ليست هذه العيون ، وأن الروية ليست هذه الروية ، بل هى عيون القلب فاختبر المخدوم نوح رح وتجلت له حقية ما قال المخدوم محمد جعفر رح ، فقال : لولا جعفر لصار النوح كافرا . (١)

---

(١) قلت : هذا من كمال تواضع هذا الإمام الكبير ، وهضم نفسه وإنه إمام الأولياء وأحد كبار المشائخ السهروردية ، وكان يفسر القران الكريم بالمعانى الدقيقة ، وكان مرجعا لأولياء الله فى بلادنا السنـــد ، و فضلائها ، وكان من آل خليفة الرسول الصديق الأعظم أبى بكر رضى الله عنه . وقد أخبرنى حضرة المخدوم الأديب محمد زمان طالب المولى ، وهو الآن على مسند المخدوم نوح رح فى هاله : أن المخدوم محمد جعفر رح كان من خلص أصفياء جدنا المخدوم وأصدقائـــه ، وقال جدنا المخدوم بيتا فى اللغة السندية مشيرا إلى تلك الواقعة وهو هذا :

اپتيان تہ انڈ يون پوريون پرين پسن ، آهي اکڑين ، عجب پر پسڻ جي .

ما معناه فى العربيـــة : إن انتبح عيناى تصير عمياء وإن اغمض عيناى

والمخدوم محمد جعفر رح كان أعجوبة دهره ، وإن فضلـه و كماله باق إلى الأن فى أولاده . المخدوم عبد الغنى والمخـدوم نورالدين (الذين كل واحد منهما كان خاتم الكمال والفضل ، وأوحد عصره فى جامعية العلوم) كانا من أولاده . مات واحد منهما فى عهد "مراد باب خان" والثانى فى عهد " ميان غلام شاه خان " (١)

وذكر المؤرخ المذبور فى تاليفـه مقالات الشعراء ما محصله فى العربية : المخدوم محمـد جعفر ابن المخدوم ميران الذى كان من أساتذة ميرزا شاه حسن بيك ارغون . ومزاره على جبل مكلى . والمومى إليه (اى المخدوم محمد جعفر رح) كان ذى علم وآيات باهرة . وفى علم النجوم والرمل لايوجد نظيره ، وأيضا لاعديل له فى الفنون النيرنجية ، والطلسمات . والأعمال التى صدر منه بتلك العلوم تطلب بسطا . وفى هذا المختصر يكتفى على هذا القدر :

المخدوم محمد جعفر رح كان يذهب إلى البلدة جهان آباد . فحين ما وصل إلى البلدة اللاهور نفد زاده . ولم ير المصلحة فى التردد والتوقف عن السفر . فعلى نمط الحكماء المتقدمين بنى بستانا ذا أشجار وأثمار خارج البلدة فى النظر الظاهر . ورهنه عند واحد من أغنياء البلدة ، وحصل

ترى الحبيب فهذا من أعجب نموذج روية البصر . ومات المخدوم نوح رح يوم الخميس لأربع ليال بقين من ذى القعدة سنة ثمان وتسعين و تسعمائة بهاله كندى .

(١) راجع تحفة الكرام الفارسى طبع بومبائى ج ٣ ص ١٤٧ وكتب فى تلك الصفحة : بوبكان اسم موضع وكان مسكن أهل الله منـه المخدوم جعفر رح . منه

مصارف السفر . وحين معاودته من جهان آباد كان ذلك الرجل متصرفا على محاصيل ذلك البستان . وحين ما وصل المخدوم هناك أخلص البستان من الرهن ، وجعله غائبا عن النظر .

وهذه الحكاية العجيبة أيضا اشتهرت فى حقه : أن السلطان سئله عن الغرة فعين المخدوم محمد جعفر ليلا والمنجمون الأخر ليلة أخرى . وتعيين تلك الليل من المخدوم كان على سبيل التخمين ، وحين ما رأى فى الرصد وجعل الحساب من الزيج ، والتقويم رأى رأى المنجمين الأخر على الصواب ورأيه على الخطأ فعمل على نهج أقام هلالا مصنوعيا فى تلك الليلة على السماء ، وظهر خطأ المنجمين الأخر . وفى الليلة الآتية طلع هلال مستمر . وكان وجود الهلالين ينشأ منه العجب ، ولم يطلع أحد على أسبابه ، حتى بين المخدوم ما قد جرى ، وأعدم هلاله . تصانيفه كثيرة . منها عجالة الطالبين . وفى الفقه له كتاب ضخيم معروف . ومن أشعاره :

بهار ، طره دلدار طرفه رنگى داشت كه آهوان حرم را بصيد مى آورد

اهـ

---

(١) راجع مقالات الشعراء ص ١٥١ - ١٥٢ بتحقيق السيد حسام الدين الراشدى الموقر .

وكتب بعد تلك العبارة : وهذا العبد على حسب أمر المخدوم نورالدين (من أولاد المخدوم محمد جعفر رح) نظم سن وفاة أخيه المخدوم عبد الغنى الذى كان (١١٦٩ هـ) ووجد هذه الآية المعظمة موافقه له : مخدوم پاك سيرت عبدالغنى كه بود :. فيها على الأرائك نعم الثواب گفت . قلت : وقد مر قبل : هذا البيت . وقصة إقامة الهلال على السماء منسوب إلى المخدوم نجم الدين من أولاد المخدوم

وكتب صاحب " گلزار ابرار " فى ترجمة المخدوم محمد جعفر ما محصله فى العربية : مولده ومنشأه ومدفنه فى بوبك . وهى قرية من نواحى سيهوان يقال لها سيستان السند أيضا . والمخدوم كان حصلت للسانه فضيلة العلم ، ولقلبه المعرفة الحقيقية . وكان مطلعا على أسرار القلوب، وواقفا لرموز الأنفس والآفاق . والشيخ طاهر بن يوسف السندى مصنف مجمع البحار ، ورياض الصالحين . كان من تلامذة والده . وقال الشيخ مسيح الزمان عيسى بن قاسم (مدظله) وحه سمعت من الحكيم محمد عثمان البوبكانى السندى يقول : إن المخدوم محمد جعفر كان أتلف كتب المنطق وأغرقها فى البحر فى آخر عمره ، ولم يكن له شغل إلا مطالعة إحياء العلوم ، وعوارف المعارف ، وفصل الخطاب وغيرها من أمثال تلك الكتب .

تصانيفه ولهذا الحبر العلامة تصانيف عديدة ، ولكن التى اطلعت عليها فى مصنفات أعلام السند أو حصلتنى هى فى المكاتب العلمية فى بلاد السند وطالعتها بمنه تعالى هى هذه: وأريد أن أذكر هنا بعض تحقيقات تلك المصنفات أيضا لأنها نوادر علمية وجواهر ثمينة تعرف بها نباهة المصنف وعلو منزلته فى ميدان تحقيق المسائل .

١ -: الصادق المنصف المحق بالذلائل التى هى بالتقديم احرى واحق :-

---

محمد جعفر أيضا وسمعت من أهل بوبك أنهم يذكرون كرامته والله اعلم . ومزار المخدوم نجم الدين فى داخل البلدة فى صحن مسجده ، ولم أقف على سن وفاته . لأن قبره لم يكتب عليه شئ وكان مستورا بالغلاف . منه .

مفتتحه هكذا: سبحانك لاعلم لنا إلاما علمتنا . ولادين لنا إلا ما أرسلت إلينا . ولك الحمـــد اللهم على ما أرسلت طايفة من عبادك لتميز الحق الأبلج من مموه الأباطيل . والصلوة والسلام على خير خلقك محمد الذى خصصته بما أريته من أسرار التنزيل ، وعلى آلـــه وصحبه الذين لم يتجاوزوا قيد شبر عن حدد سننه ، وسواء السبيل .

اما بعد : فهذا ما ذكرت فيه بعض الروايات ، والتحقيقات التى لما لم يعرفها جم غفير من أهل التوجـــة ، والطاعات اعتقدو خلافها من أعلى المعارف وأفضل القربات . ووقعوا لذلك فى كثير من البدع ، و المخالفات . بل جر بعضهم إلى قعر الزندقـــة والإلحاد ، والترشح فى العقبات . وأنا اعتنيت ببيان ذلك الخطب الجليل . وهو مع أنـــه قليل يشفى كل طالب حق عليل ، وينفع من الضليل ، لما أخرج إبن عساكر عن معاذ رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا ظهرت البدع ، ولعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فلينشره فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل على محمد . وله شاهد عند إبن ماجة عن جابر .

وقد شاهدنا فى أكثر البلاد ما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم قبل أن يقع عليه الإلحاد ، ورأينا عيانا لايعد ولايحصى من أنواع البدع ، و الإلحاد . وسميته " الصادق المنصف المحق بالدلائل التى هى بالتقديم أحرى وأحق . ورتبته على فصول مشتملة من النقول ، والأصول على ما تقرر عند العلماء العدول ، والصوفية الفحول . وقد سلكت فيه مسلك الإعتدال حيث ما ألزمت فيه رد ما يقبل التاويل ، ولا قبول ما لايجوز له التاويل .

أخرج أحمد ومسلم عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :- لاتكتبوا عني شيئا إلا القرآن فمن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثو عني ولاحرج . ومن كذب على متعمدا فليتبوء مقعده من النار . إنه قد ورد في الحث على الرواية بالإسناد أحاديث . وإن الخطاب في قوله عليه السلام : " لاتكتبوا " مختص بالصحابة رضى الله عنهم ويحبونه صلى الله عليه وسلم فإن القرآن ينزل عليه صلى الله عليه وسلم نجما نجما فخاف عليه السلام أنه لو لم ينههم عن كتب الأحاديث النبوية لربما تختلط بالقرآن بعض الإختلاط . ثم بعده صلى الله عليه وسلم وقع الأمن من ذلك . وقد فشا بعد مدة من بعده صلى الله عليه وسلم الكذب والإفتراء والوضع على النبي صلى الله عليه وسلم وكثر ذلك بحيث لايكاد يتميز الصحيح من غيره كالموضوع . فوفق الله علماء ذلك الوقت حتى انتقدوا ، وتفحصوا عن حال الرواة ، والناقلين ، واشتغلوا بالجرح والتعديل ليتميز صحيح الروايات عن سقيمها . فأثبتوا ما عرف صحته ، وزيفوا ما كان من أهل التهم والأهواء . لقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا .

إعلم أن الإشتغال بعبادة لايجوز كما يحب ويرضى إلا بالإذعان ، والإتيان مما أمر ، والإحتراز مما نهى . وهما لايستفادان إلا بمعرفة ما جاء به النبي من عنده تعالى . ولا يتم ذلك إلا كما قال الشيخ الإمام ، قطب الأنام بدر الدين ابن الأهذل في التنبيهات على التحرر في الروايات : و لايتم الفقه في الدين إلا بمعرفة الصحيح من السقيم ، والعدول من المجروحين . فشان العالم المحقق في بديهته التوقف ثم النظر . فإن كان عالما رجع إلى التفتيش ، وإن كان عاميا أومقلدا رجع إلى العلماء . و لكل من العلم رجال يرجع إليهم فيه . ففي الحديث ، والتواريخ ، و

الجرح والتعديل يرجع إلى المحدثين ، وفى الفقه إلى الفقهاء ، وفى النحو إلى النحاة ، وفى اللغة إلى أهلها ، وفى الحساب إلى أهله ، وفى القرآن قراءة ورسمها إلى أهله ، وفى التفسير إلى أهل التفسير ، وفى الأنساب إلى أهلها . وفى كل فن إلى أهله . وعلى الجملة فأهل الحديث أعلم بطريق الرواية فيرجع إليهم فيما يتعلق بها .

أخرج البخارى ومسلم عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايزال الناس من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون . وله شواهد كثيرة فى الصحيحين وغيرهما من المشكوة . قال ابن المدينى : هم أصحاب الحديث . وفى الرسالة المسماة بالأحاديث الحسان فى فضل الطيلسان لحافظ عصره ، بل حاكم دهره جلال الدين السيوطى " قال عبد الله بن المبارك ، وعلى بن المدينى ، و يزيد بن هارون ، وأحمد بن حنبل والبخارى وغيرهم : هذه الطائفة أصحاب الحديث ا هـ .

نعم قد قيل أيضا منهم أهل الكلام . وقيل الفقهاء . وقيل جماعة القراء . وقيل غير ذلك . لكن ما سبق قول الأكثر . ودليله كما سنذكر .

وفيها : أخرج المرهبى فى فضل العلم ، والخطيب عن على بن أبيطالب رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إرحم خلفائى . قلنا : يا رسول الله من خلفائك ؟ قال : الذين يأتون من بعدى فيروون أحاديثى ، وسنتى ، و يعلمونها الناس ا هـ .

قلت : إن المراد منهم الحذاق الذين سبروا ومهروا فى أنواع

علم الحديث لأنهم المميزون العارفون السمين من الغث ، والصحيح والحق من الضعيف ، وإياها من الموضوع ، والمردود ، وما لا أصل لـه وما لم يوجد . والذين اصمعوا إلى المعدل لكبر اوانته ، والإجتهاد فى موارده فإن لم يبلغوا مزية الإجتهاد فلا أقل من أن يحصل منهم المعرفة المذكورة وإلا فهم خلفاء من وجـه دون وجـه . ولاشك أن القضية المتأهل للإستنباط بنفسه أو العارف بطريق استدلالهم داخل فيه ، إذ لايكون كذلك إلا بعد معرفة علوم الحديث ، وتاويلاتها . وأما الذين لايعرف الفرق فيما بينها ، ولا يهتدى تاويلاتها ، بل يذكر أقوالهم على سبيل محض التقليد فنيس يخلف عنـه صلى الله عليه وسلم إلا بوجه واحد فقط .

وذكر فيها : إعلم أنه لابد فى رواية الحديث من الإسناد ، ولكن لما قام جهابذة المحدثين بالتصانيف المسندة أغنونا من ذكر كل رجال الأساليد . بل يكفينا أن نعزو كل رواية إلى مخرجها الذين ذكر أسنادها فى كتابه . لكن لابد فى معرفة مراتب المصنفات ، والروايات بمعرفـة أحوال ما ذكروا ليحصل بذلك معرفة المقبول من غيره . فمن هذا قال جمهور المحدثين : بتقديم صحيح البخارى ثم صحيح المسلم وهكذا فى سائر المصنفات .

قال الشيخ ابن حجر والجلال السيوطى رضى الله عنهما : ان الكتب المشهورة المتداولـة بأيدى أهل العلم شرقا وغربا المقطوع عندهم صحة نسبتها إلى مصنفها إذا اجتمعت على إخراج حديث وتعدد طريقه تحيل العادة تواطؤهم على الكذب أفاد العلم اليقين . فينبغى لمن كان له ريب فيما يقولـه العلماء وينقلونـه أن يتفحص ما بنى عليـه مذهبـه فى كتب

الحديث ، ثم يتحرى رجحان ما بين الروايات الواردة فى ذلك فهل يذهب تردده أم يزداد ؟

قد أدرج كثير مما كانوا قاصرى الباع فى الحديث فى كتبهم فى الطريقة أحاديث لا توجد فى كتاب حديث لا صحيح ولا ضعيف . فما تقرر عند المحدثين إتفاقهم على أن حديث " كنت كنزا مخفيا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لتعرفهم لى فعرفونى " موضوع بكل من لفظه ، ومعناه فلا تغتر من أورده حجة على مذهبه ، ولا بإتباع شرذمة ممن لم يبلغ مزية الإجتهاد . وكذا تقرر وضع ما قيل فى علم الباطن عنه صلى الله عليه وسلم " هو سر بينى وبين أحبائى وأوليائى ، وأصفيائى أردعه لى قلوبهم لايطلع عليه ملك مقرب ، ولا نبى مرسل . وكذا وضع " ذرة من أعمال الباطن خير من الجبال الرواسى من أعمال الظواهر . وكذا تقرر إتفاق المحدثين على عدم ثبوت " من عرف نفسه عرف ربه ومن عرف ربه كل لسانه" مرفوعا . وقيل : موضوع . وقيل : حقق السيوطى رح فى نحو عشر كراريس معناه ، وما هو الواقع من الورود وعدمه مما لا مزيد عليه . وإنى رمت تحقيق كثير من أمثالها فعليك بالكتب المصنفة فى باب الإنتقاد كمقاصد الحسنة للإمام أبى الخير شمس الدين السخاوى ، واللآلى ، والذيل ، والوجيز لجلال السيوطى رح .

وفيها : وقال الإمام النسفى : الإلهام ليس من أسباب العلم بصحة الشئ عند اهل الحق . والمقصود من القول التعريف بحرص السلف ، والمشائخ المحققين على الإتباع ؛ ومجانبة الإبتداع . فقد تقرر فى الشريعة النهى عن الإبتداع ، وعن الغلو فى الدين ، وعن الأغلوطات . كل ذلك فى تنبيهات إبن الاهدل . وفيها : ومما ينهى من كتاب الصوفية مقالات

لم ترو عن السلف ، وحقايقها مستحيلة كدعوى الإتصال بالله تعالى ، ومكالمته ، ورويته فى الدنيا ، وإنكار وجود الخلق ، ودعوى العلم الباطن المخالف لظاهر الشريعة . وربما ترجموا له بباب العلم المجهول . وقد يجر ذلك إلى إعتقاد الحلول أو الإتحاد وغير ذلك .

ومما ينهى عنه من كتب الصوفية ما لم يكن مصنفه مشهورا بالعلم والسنة . وبالغ بعض المتصوفة فى جمع مقالات عن الشيوخ يتلقونها من أفواه بعضهم بعضا من أوراق لايعتمد عليها عارف ، وخلطوا الغث بالسمين . وبالغ الشيخ زين الدين العراقى فى كتابه : الباعث على الخلاص من حوادث القصاص فقال : ولقد كان وان اشتهروا بالزهد ، والصلاح معروفين فى رواية الحديث كزيد الرقاشى وزياد النمرى و صالح المزنى والحارث بن الاسد المحاسبى وغيرهم . وقد سبل أبو زرعة الرازى عن الحارث المحاسبى ، وكتبه فقال : إياك وهذه الكتب فإنها كتب بدع ، وضلالات . عليك بالأثر تجد فيه ما يغنيك . قيل له : فى هذه الكتب فوائد وعبرة . فقال : من لم يكن له فى القرآن عبرة فليس له فى هذه الكتب عبرة . هل بلغكم ؟ أن سفيان ، ومالكا ، والأوزاعى صنفوا هذه الكتب فى الخطرات ، والوساوس ما أسرع الناس إلى البدع اهـ .

وقد كان أبومنصور التميمى ذكر الحارث المحاسبى فى الطبقة الأولى من أصحاب الشافعي رح وأثنى عليه كثير . واعترض عليه إبن الصلاح فى ذلك حكاه الأسناءى فى طبقاته . وأثنى النووى فى كتابه : التبيان ، على الحارث المحاسبى . وقال : إنه ممن جمع علم الظاهر والباطن . ولكن الإمام أحمد بن حنبل قد كان هجره فقيل هجره لأجل تصنيفه فى علم الكلام ، و

استنباطه حجج المبتدعة . ولما هجره الإمام أحمد استحقره الناس ، حتى قيل : إنه لما مات لم يصل عليه إلا نفر يسير . وممن تكلم العلماء فيه وفى تصانيفه الحكيم الترمذى المتصوف محمد بن على لا نفراده بغرائب يعرفها من طالع كتبه على شريطة التحقيق لعلوم الشريعة . فاحذر من غرائبه ، ودعواه . وقد أنكر عليه علماء عصره ، وأخرجوه من البلد بسبب ذلك . ذكره الذهبى وغيره .

ومما ينهى عنه نهى منع ، وتحريم كتب الحلاج (١) الذندين الذى قتل وصلب بإجماع (علماء) وقته وسلطانهم لدعواه الإلهيـــة ، والإتحاد ، وقوله أنا الحق . ومن مصنفاته كتاب المعارف الربانية ، والحكم الإلهية من كلامه . ولاتعول على ثناء بعض الشيوخ عليه وتاويلهم له بالسكر .

---

(١) هو أبو مغيث حسين بن المنصور الحلاج . صحب الجنيد ، و النورى ، وعمرو بن عثمان المكى والفوطى وغيرهم . والمشائخ فى أمره مختلفون . رده أكثر المشائخ ، ونفوه ، وأبو أن يكون له قدم التصوف ، وقبـــله بعضهم . منهم أبو العباس بن عطاء ، ومحمد بن حنيف ، و أبوالقاسم النصرابادى ، وأثنوا عليه ، وصححوا حاله ، وحكوا عنه كلامه ، وجعلوه أحد المحققين حتى كان محمد بن حنيف يقول : الحسين بن منصورعالم ربانى . قتل ببغداد بباب الطاق يوم الثلثاء لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وثلثمائة . وفى تاريخ ابن خلكان ما نصه : قتل الحسين الحلاج ولم يثبت عليـــه ما يوجب القتل . وقد أشار القشيرى إلى تزكيته حيث ذكر عقيدته مع عقائد أهل السنة أول الكتاب فتحا لباب حسن الظن به ، ثم ذكره فى أواخر الرجال لأجل ما قيل فيه .

راجع الطبقات الكبرى للشعرانى ج ١ ص ١٠٧